شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

١٢ العُدَيل بن الفرخ (تتمّة)

وروى ابن عبد ربّه في العقد الفريد (٣: ١١٧-١٠٨) وابن قتيبة في الشعر والشعراء (٢٤٥) للعديل قولهُ يذكر يوم ذي قار وحضور بني شيبان وعجل فيهِ (من البسيط) :

ما أَوْقدَ الناسُ من نارٍ لِمَكْرُمةٍ ... إلّا اصْطَلَيْنا وكنّا مُوقِدي نارِ

وما يُعَدُّون من يومٍ سمعتَ بهِ ... للناسِ أَفضلَ من يومٍ بذي قارِ

جئنا بأَسلابهم والخيلُ عابسةٌ ... لمّا استلَبْنا لِكِسْرى كلَّ أَسوارِ(١

ومن جيّد شعر العُدَيل قصيدتهُ اللاميّة التي يمدح فيها قبائل وائل ويذكر دَفْعها عنهُ ويفتخر بها فقال (الاغاني ٢٠: ١٤—١٦) (من الكامل) :

صَرَمَ الغَواني واستراحَ عَواذلي ... وصحَوْتُ بعدَ صَبابةٍ وتَمايُلِ

وذكرتُ يوم لوى عُنَيْق(٢ نسوةً ... يَخْصُرْنَ بين أَكِلّةٍ ومَراجلِ

لَعِبَ النعيمُ بهنّ في أَطْلالهِ(٣ ... حتى لَبِسْنَ زمانَ عيشٍ غافلِ

---

١) ويروى : يوم استلبنا

٢) لوى عُنَيْق مكان بينهُ . ويروى : لوى عُنَيق ٣) ويروى : في اظلاله

يأخذن زينتهن أحسن ما ترى ... واذا عطلن فهن غير عواطل
واذا خبأن خدودهن أرينني(١ ... حدق المها وأخذن سهم القاتل
ورمينني(٢ لا يستترن بجنة ... الا الصبا وعلمن ابن مقاتلي
يلبسن أردية الشباب لأهلها ... ويجرن باطلهن جر الباطل(٣
بيض الأنوق بكسرهن ومن يرد ... بيض الأنوق فوكرها بعاقل(٤
ورآك اهلك منهم ورأيتهم ... بفروع أزعن فوقها متطاول
واذا سألت أبني نزار بيتنا ... مجدي ومنزلتي من أبني وائل
حدبت بنو بكر علي وفيهم ... لهم المكارم بالعديد الكامل(٥
خطروا وراني بالقنا وتجمعت ... منهم قبائل أردفوا بقبائل
ان الفوارس من لجيم لم تزل ... فيهم مهابة كل ابيض فاصل
متعمم بالتاج يسجد حوله ... من آل هوذة للمكارم حامل(٦
او رهط حنظلة الذين رماحهم ... سم الفوارس حتف موت عاجل
قوم اذا شهروا السيوف رأوا لها ... حقا ولم يك سلها للباطل
ولئن فخرت بهم لمثل قديمهم ... بسط المفاخر للسان القائل

---

١) كذا روى الحصيري في زهر الآداب (١ : ٨٤) . وفي الاغاني : واذا جنان خدودهن أرينا . وهو تصحيف ٢) روى الحصيري : برمينا
٣) روى الحصيري : ذيل الباطل وقد غنى ابن سريج بالابيات الاربعة السابقة
٤) يشير الى المثل : اعز من بيض الأنوق
٥) وفي الاصل : والعديد الكامل
٦) يشير الى هوذة بن علي سيد بني حنيفة النصراني المعروف بذي التاج (اطلب كتاب النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ص ٤٦٣)

اولادُ ثعلبةَ الـذين بِشِلْهِمْ ... حِلْمُ الحليمِ وردُّ جهلِ الجاهلِ
ولِمَجْدِ يَشكُرَ صورةٌ عاديّةٌ ... وأبٌ اذا ذكروهُ ليس بخاملِ
وبنو الفِزارِ اذا عددتَ صنيعَهم ... وَضَحَ القديمُ لهم بكلِّ محافلِ
واذا فَخَرْتَ بتغلبَ ابنةِ وائلٍ ... فاذكُرْ مكارمَ من نَدًى وأوائلِ
ولتغلبَ الغلباءِ عِزٌّ بيِّنٌ ... عاديّةٌ ويزيدُ فوقَ الكاهلِ
تَسطو على النُّعمانِ وابنِ مُحرِّقٍ ... وابنَيْ قطامِ بعزّةٍ وتناوُلِ
بالمُقرَباتِ يَبِنَ حولَ رحالِهِمْ ... كالقِدِّ بين أجلّةٍ وصواهلِ
اولادُ أعوجَ والصَّريحِ(١ كأنّها ... عِقبانُ يومِ دُجنّةٍ وتحايلِ
يَلْقُطْنَ بعد أزُرِهنَّ على الشَّبا ... عَلَقَ الشَّكيمِ بألسُنٍ وجحافلِ
قومٌ هُمُ قتلوا ابنَ هندِ عُنوةً(٢ ... وقنا الرماحِ تذودُ وِردَ الناهلِ
منهم ابو حَنَشٍ وكان بكفِّهِ ... رَيُّ السِّنانِ وريُّ صَدرِ العاملِ(٣
ومُهلهلُ الشعراءِ ان فَخَروا بهِ ... ونَدَى كُلَيبٍ عند فضلِ الثّائلِ(٤
حَجَبَ المَنيّةَ دون واحدِ أمِّهِ ... من أنْ تَبيتَ وصدرُها ببلابلِ
وأبَى مُجالَسةَ الشّبابِ فلم يكن ... يستب مجلسُهُ وحقَّ النازلِ
حتى أجارَ على الملوكِ فلم يَدَعْ ... حَدَباً ولا صَعَراً لرأسِ مائلِ
في كلِّ حيٍّ للهُذَيلِ ورَهطِهِ ... نِعَمٌ واخذُ كريمةٍ بتناوُلِ

---

١) اعوج والصريح فرسان من الخيل الاصيلة يضرب العرب بكرمها المثل
٢) قتل عمرو بن كلثوم التغلبيُّ ملكَ الحيرة عَمْرَ بن هند
٣) ابو حنش كُنيةُ عَصِم بن النعمان التغلبي قتل شرحبيل بن الحارث الغسّانيّ اخاهُ لامّه ذا السُّنَينة
٤) اطلب اخبار كليب والمهلهل في شعراء النصرانيّة

بِيضٌ كرائمُ رَدْهنَّ لعُنوةٍ أَسَلُ القَنا وأَخذنَ غيرَ أَراملِ
ابناؤهنَّ من الهُذَيل وِرَهطِهِ مثلُ الملوك وعِشنَ غيرَ عوامل

وقد روى لهُ في الاغاني (٢٠: ١١) ابياتاً فيها غِناء لمعبد (من الطويل) :

فان تكُ من شَيبانَ أُمي فانني لأَبيَضَ من عجلٍ عريضِ المَفارقِ
وكيفَ بذِكرَى امِّ هارون بعدما خَبَطْنَ بأيديهنَّ رَمْلَ الشقائقِ
كأنَّ نِقاً من عالجٍ آزَرَتْ بهِ اذا الذِلُّ أَلْهاهُنَّ شدَّ المَناطقِ
وانّا لَنُغْلي في الشتاء قدورَنا وتَصْبِر تحتَ اللامماتِ الخوافقِ

وقد روى الاصمعيّ انَّ الشاعر الراجز ابا نجم قال للهُذَيل: أَرأيتَ قولك (فان تكُ من شيبان أُمي البيت)، أكنتَ شاكّاً في نسبك حين قلتَ هذا. فقال لهُ الهُذَيل: أَوَ كنتَ أنتَ في نفسك ارشدَ منك حين قلت :

أنا ابو النجم وشِعري شعري ثم دَرَّي ما تحتَ صدري

فأمسك ابو النجم واستحيا — ومن مديح الهُذَيل ما قالهُ في رجلَين عُرِفا بشرفهما وضرب المثل بكرمهما وهما حوشب الشيباني وعكرمة بن ربعي الفيّاض. روى عنهما صاحب الاغاني ما لخّصهُ قال (٢٠: ١٩١٨) :

«كان حوشب بن يزيد الشيباني وعكرمة بن ربعيّ يتنازعان الشرف ويتباريان في الطعام وَنَحْر الجُزُر في عسكر مُضَب. وكان حوشب يغلب عكرمة لسَعَة يده. (قال) وقدم عبد العزيز بن يسار مولى بُختر... بسفانٍ دقيق فأتاهُ عكرمة فقال لهُ: اللهَ اللهَ فيَّ قد كاد حوشبٌ ان يستغلبني ويتغلبني بمالهِ فيبني هذا الدقيق بتأخير ولك فيهِ مثلُ ثمنهِ ربحاً. فقال: خذهُ. واعطاهُ اياهُ فدفعهُ الى قومهِ وفرّقهُ بينهم وامرهم بعَجْنهِ كلّهِ فعجنوهُ كلّهُ ثمَّ جاء بالعجين كلّهِ فجمعهُ في جِرَفةٍ عظيمةٍ وامر بهِ فغُطّي بالحشيش. وجاء بِرَمكة فقرّبوها الى فرس حوشب حتى طلبها وأقبلت ثمَّ ركضوها بين يديهِ وهو يتبعُها حتى ألقوها في ذلك العجين وتبعها الفرس حتى تورّط

في العجين وبقيا فيهِ جميعاً. وخرج قومُ عِكرمة يصيحون في العسكر: يا معشر المسلمين أدركوا فرس حوشب فقد غرق في خميرة عِكرمة. فخرج الناس تعجُّباً من ذلك اذ تكون خميرةٌ يغرق فيها فرس. فلم يبقَ في العسكر احد الّا ركب ينظر وجاؤوا الى الفرس وهو غريق في العجين ما يبينُ منهُ الّا رأسُهُ وعنقهُ. فما أُخرج إلّا بالعَتَد والحبال وغلب عليهِ عكرمة وافتضح حوشب فقال العُديل بن الفرخ يمدحها ويفخر بها (من الطويل):

وعِكْرِمَةُ الفيّاضُ فينا وحَوْشَبٌ هما فَتَيا الناس اللَّذا (١ لم يُعَمَّرا
هما فَتَيا الناس اللذا لم يَنالُهما رئيسٌ ولا الأَقيالُ من آلِ حِمْيَرا

وقال غيرهُ في حوشب:

وأجْرَدُ بالمال من حاتمٍ وأَغْمَرُ للجُزْرِ من حوشبِ

وقد مدح العُديل رجلاً آخر سيّداً على بني ربيعة بن نزار اسمهُ مالك بن ربيعة ابن مِسْمَع لاذ بابيهِ بنو تميم والأَزد لان والي الكوفة زياداً حمل مالاً من البصرة الى مُعاوية فخرم عرب ربيعة فاستغاثوا بربيعة بن مسمع فارسل ابنهُ مالكاً فلحق بالمال وردَّهُ وانفقهُ في الناس حتى وفاهم عطاءهم فما راجعهُ زياد. ثمّ ولي حمزة بن عبدالله بن الزبير البصرة فجمع هو ايضاً مالاً ليحملهُ الى ابيهِ فاجتمع الناس الى مالك واستغاثوا بهِ ففعل مثلَ فعلهِ بزياد فقال العديل قصيدتهُ التي اوّلها (من الطويل):

أَمِنْ مَنزلٍ من أُمِّ سَكْنَ عَشِيَّةً ظَلِلتُ بِها ابكي عليهِ مُفكِّرَا
معي كلُّ مسترخي الإزار كأنَّهُ اذا ما مشى من جِنِّ غِيلٍ وعَبْقَرا
مُنيخي المَطايا لا يُبالي كلاهما مُقَلِّصةً خوصاً من الأَيْنِ ضُمَّرا

(١ ومنها في مديح بني مسمع ومالك (عمدة ابن الرشيق ٢: ٦ والاغاني ٢٠: ١٧):

١) اللذا مثنّى اللذي بحذف نونها للشعر

بني مِسْمَعٍ لولا الإلـهُ وانتمُ بني مِسْمَعٍ لم يَنكُرِ الناسُ مُنْكَرا
اذا ما خشينا من امير ظُـلامةً دعونا أبا غسَّانَ يومـاً فمسكرا
ترى الناسَ افواجاً الى بابِ دارهِ اذا شـاء جاؤوا بارعِينَ وحُسَّرا

ومما يُروى ايضاً من شعر العُدَيل بن الفرخ ما قالهُ في رجل من بني عجل يدعى جبَّارًا كان رجل من بني العَبَّاب من رهط العديل اصاب انفهُ (من الطويل):

أَلم تَرَ جبَّارًا ومارِنَ أنفِهِ لهُ ثُلَمٌ يَوْمِينَ ان يتخَثَّما
ونحنُ جدَعْنـا أنفَهُ فكأنَّمـا ترى الناسَ أعداءً اذا هو أطلعـا
كُـلوا أنفَ جبَّارٍ بِكارى فانَّنا تركناهُ عن فَرْطٍ من الشرِّ أجدعا
مَعـاقدُ من أيـديهمِ وأنوفِهم بِكارى وثِيباً تَرْكب الحَزْنَ طُلَّما

وكان رجل من رهـط العُدَيل ضرب ايضاً يد وكيع احد بني الطاغية وهما يشربان فقطعها وانتزعا فقال العُدَيل في ذلك (من الطويل):

تركتُ وكيعاً بعد ما شابَ رأسُهُ أشلَّ اليمينِ مستقيمَ الأخـادعِ
تَشَرَّبْ بها وُرْقَ الإفالِ وكُلْ بها طعامَ الذليل وانْحجِرْ في المخادعِ

فلمَّا قال هذا الشعر يفخر بقطع انف جبَّار ويد وكيع حلف رهطها ان يقطعوا انفهُ ويدهُ دونَ مَن فعلَ ذلك بهم. فهرب العديل وابوهُ الى بني قيس بن سعد ولجأا الى عُنَيْر بن جُبَيْر. فقال بنو قيس بن سعد للفرخ بن العُدَيل أنصِف قومك وأعطِهم حقهم. فركب اليهم الفرخ ومعهُ رجلان من بني الحارث اسمهما حسَّان ودينار فأسرتهُ بنو الطاغية وانتزعوهُ من الرجلين وتوجَّهوا به نحو البصرة. فرجع الرجلان الى قومهما مستغيثين لهم فركب النفير في نَهْب بني الطاغية فادركوا منهم رجلًا فاشتروا منهم الجراحة بسبعين بعيرًا واخذ ابنَ العديل منهم فاطلقهُ فقال ابن العديل يمدح بني قيس ويهجو بني طاغيـة (من الطويل):

ما زال في قيسِ بن سَعْدٍ لِجارِهِمْ على عَهْدِ ذي القَرْنَينِ مُعْطٍ ومانعُ
هم استَنقذوا حسّانَ قَسْرًا وأنتمُ لئامُ المقامِ والرماحُ شوارِعُ
غدَرْتم بدينارٍ وحسّانَ غُدْوَةً وبالفَرْخِ لمّا جاءكم وهو طائعُ
فلولا بنو قيسِ بن سَعْدٍ لأصبحَتْ عليَّ شِدادًا قبضُهنَّ الاصابعُ
ألا تَسألون ابْنَ المُشَتَّمِ عنهمُ جعامةُ والحيرانُ وافٍ وظالعُ

ومِمّا روى ابو الفرج في (الاغاني ٢٠ : ١٩) عن الاصمعي انهُ قال: دخلتُ على الرشيد يوماً وهو محموم فقال: أنشِدْني يا اصمعي شعرًا مليحاً. فقلتُ: أرَصيناً فَحلًا يريدهُ اميرُ المؤمنين ام شجيًّا سَهلًا. فقال: بل غزلًا بين الفحل والسهل. فانشدتُهُ للفرخ بن العُدَيل العجلي (من الطويل):

صحا عن طِلابِ البيضِ قبلَ مَشيبِهِ وراجَعَ غَضَّ الطَّرْفِ فهو خفيضُ
كأنّي لم أرْعَ الصِّبا ويروقني من الحيِّ أحوَى المُقْلَتَينِ غضيضُ
دعاني لهُ يوماً هوًى فأجابَهُ فؤادٌ اذا يَلقى المِراضَ مريضُ
لِمُستَأنِساتٍ بالحديث كأنّهُ تهامِلَ غُرٌّ بَرْقُهنَّ وميضُ

فقال لي: أعِدْها. فما زلتُ اكرّرها عليهِ حتى حفظها

ولهُ في العتاب ما رواهُ صاحب الحماسة البصريّة (ص ٢٤٤ من نسخة مكتبتنا) وذلك انّهُ كان مدَح مع الفرزدق قوماً من رهطهِ فوصلوا الفرزدقَ دونهُ فقال (من الطويل):

أفي الحقِّ ان يُعطَى الفرزدقُ حُكْمَهُ وتَخرُجُ كفّي من نَوالكمُ صُفرا
أهُمْ فَثَنَيني أواصرُ بيننا وأيدٍ حِسانٌ لا أؤدّي لها شكرا

ومِمّا يُستشهد بهِ من شعر العُدَيل في كتب اللغة قولهُ (من الرجز):

اوعدني بالسجن والأداهم رجلي ورجلي شثنة المناسم

قالوا الأداهم القيود من خشب جمع أدهم . اي تهددني بالسجن وتهدد رجلي بالقيود وانما رجلي شثنة المناسم اي غليظة الباطن لم تولها القيود

ومن رجز العديل رائيته التي مرّ ذكرها وهي كثيرة الابيات ذكر منها ابن قتيبة في الشعر والشعراء قوله :

يا دار سَلمى اقفرت من ذي دارْ(١ وهل بإقفار الديار من عارْ

ثم ذكر وصفه للابل :

قوارب الماء سَوامي الأبصارْ وهنّ يَنهضْنَ بدَكداكٍ هارْ(٢

أورَقَ (٣ من تُرب العراق خوّارْ وقد كسينَ عَرَقاً مثلَ القارْ

يخرجُ من تحت خلال الأوبارْ

﴿وفاة العُدَيل في البصرة﴾ روى في الاغاني (٢٠ : عن محمد بن سلام قال : قدم العديل بن الفرخ البصرة ومدح مالك بن مِسمع البَجَدري فوصَلَهُ فاقام بالبصرة واستطابها وكان مقيماً عند مالك فلم يزل بها الى ان مات . وكان ينادم الفرزدق ويصطحبان فقال الفرزدق يرثيه :

وما ولدتْ مثلَ العُدَيل جليلةٌ قديماً ولا مستحدثاتُ الملاثلِ

وما زال مُذ شدّتْ بداهُ إزارَهُ يفتّحُ الابوابَ بكرُ بن وائلِ

هذان البيتان لم يُرويا في ديوان الفرزدق

(لها بقية)

---

١) ويروى : من ذي قار

٢) القوارب جمع قارب وهو طالب الماء ليلاً . والدكداك الارض الغليظة والهار المتداعي يريد الارض التي تخرقها السيول

٣) الأورق الذي لونهُ لون الرماد